٢- التعبيرُ الإنشائيّ (التعبيرُ المقالي):

المَقَالةُ قطعةٌ نثريّةٌ محدودةُ الطُّولِ، يُعَالِجُ فيها كاتبُها – من وجهةِ نظرِهِ – موضوعًا من موضوعاتِ العِلْمِ أوِ الأدبِ أوِ الاجتماعِ

Scanned by CamScanner

أو السياسة، ولها عناصرُ تتكوّنُ منها وأنواعٌ تنشعّبُ إليها. فالمقالُ فنٌّ من فنونِ النثرِ، يعرضُ الكاتبُ فيه فكرةً أو مجموعةً من الفِكرِ في موضوعٍ واحدٍ بتسلسلٍ وترابطٍ، وبأسلوبٍ مُناسبٍ، وتختلفُ أنواعُهُ بحسبِ موضوعاته.

ولابُدَّ لكلِّ مقالةٍ من خُطّةٍ، والخُطّةُ هي المنهجُ العقليُّ للمقالةِ، وقوامُها المُقدّمةُ والعَرْضُ والخاتمةُ. فالعناصرُ الفنّيّةُ للمقالةِ من حيثُ الشكلُ:

١- المُقدّمة: هي المَدْخلُ إلى الموضوعِ وفاتحتُهُ، يُقدّمُ فيها الكاتبُ طائفةً مِنَ المُسلّماتِ أو البديهيّاتِ تتّصلُ بالموضوعِ، وتُعينُ القارئَ على التهيُّؤِ لَهُ، وعلى ذلك تكونُ المُقدّمةُ مَدْخلًا مُركّزًا لموضوعِ المقالةِ.

وينبغي أنْ تشتملَ المُقدّمةُ على عُنصرِ التّشويقِ، وتبلغُ المُقدّمةُ ذلك عندما تكونُ قادرةً على إثارةِ اهتمامِ القارئِ وتشويقِهِ. وتتّصفُ المُقدّمةُ الجيّدةُ بالتّركيزِ والإيجازِ، والإثارةِ والجَذْبِ بمراعاتِها مستوى القُرّاءِ، وعَدَمِ المُبالغةِ في التّلطُّفِ، وارتباطِها بالموضوعِ.

٢- العَرْضُ: ويتضمّنُ الفِكرَ الرّئيسةَ والفرعيّةَ. وينبغي أنْ يُراعَى في العَرْضِ التّوسُّعُ بالفِكرِ الرّئيسةِ لِتُشكّلَ فِقْرةً مُتكاملةً، والتدليلُ على كُلِّ فِكْرةٍ مِنْ خِلالِ ذِكرِ الأفكارِ بصِياغتِها التي وَرَدَتْ في نَصِّ السُّؤالِ. ويَنْبَغي للطّالبِ أنْ يُورِدَ هذه الأفكارَ مُتسلْسِلةً تَسلْسُلًا يُوافِقُ وُرُدَها في نَصِّ السُّؤالِ.

٣- الخاتمةُ: وتتضمّنُ: توصياتٍ أو إرشاداتٍ أو مُلخّصًا لِمَا سَبَقَ. فغالبًا ما تكونُ الخاتمةُ تلخيصًا مُوجزًا لِمَا جاءَ في العَرْضِ، أو تأكيدًا لِمَا جاءَ فيه، أو تأكيدًا لِما وردَ في أثناءِ عَرْضِهِ من آراءٍ ومواقفَ، والتّذكيرَ بما سَبَقَ وتثبيتَهُ في ذِهْنِ القارئِ.

والخاتمةُ الجيّدةُ هي الخاتمةُ التي تترُكُ أثرًا طيّبًا لدى القارئِ، وتكونُ بتلخيصِ المضمونِ، أو التوصياتِ والاقتراحاتِ، أو توجيهِ القارئِ نحو آفاقٍ معرفيّةٍ جديدةٍ.

أمّا عن أنواعِ المَقالةِ، فتُقسَّمُ بحسَبِ:

١) الأسلوبِ: إلى أدبيّةٍ وعلميّةٍ، وقد تجمعُ بينَ الأسلوبَين؛ الأدبيِّ والعِلْميِّ.

٢) الموضوعِ: إلى تاريخيّةٍ، اجتماعيّةٍ، سياسيّةٍ، اقتصاديّةٍ، فِكريّةٍ،...

٣) مَوْقِفِ الكاتبِ: إلى ذاتيّةٍ وموضوعيّةٍ.

❖ أمثلة تطبيقية على كتابة التعبير الإنشائي (التّعْبيرُ المقالي)

المِثالُ التّطْبيقيُّ الأوّلُ: التّدخينُ سَبَبٌ لكثيرٍ منَ الأمراضِ التي تهدِّدُ حياةَ الإنسانِ، ومع ذلكَ يُقبلُ عليه كثيرٌ مِنَ الشّبابِ مُعتقدينَ أنّهُ يُظهرُهُم بمَظهَرِ الرُّجولة.

اكتبْ مَقالةً تبيّنُ فيها أضرارَ التدخينِ على الفردِ، والأسْرةِ، والمجتمَعِ.

الإجابة:

إنّ مرحلةَ الشّبابِ أجملُ مراحلِ العُمْرِ، تبلغُ فيها قوّةُ الإنسانِ ذروتَها، وتتفتّحُ فيها تطلُّعاتُهُ ورُؤاهُ نحو المُستقبَلِ القادم. وكثيرًا ما ينساقُ الإنسانُ في هذه المرحلةِ مِنَ العُمْرِ إلى القِيامِ بأعمالٍ تضرُّ بهِ، يقودُهُ إلى ذلكَ الاندفاعُ والتّهوُّرُ وضَعْفُ التّقديرِ. ومِمّا يُؤيّدُ ذلكَ إقبالُ الكثيرِ مِنَ الشّبابِ إلى الفَتْكِ بصِحّتِهم مُتناسينَ أنّها نعمةٌ عظيمةٌ حبا اللهُ عبادَهُ بها، وأوصاهُم بالعِنايةِ بها. فكثيرٌ مِنْ هؤلاءِ الشّبابِ يُقبلُ على التّدخينِ بشراهةٍ مُتغافلًا عن أضرارِهِ التي تنشرُ المَرَضَ في الأبدانِ، وتُضعِفُ صِحّةَ المُجتمَعِ، وقد تودي بأرواحِ أبنائِه.

إنّ أضرارَ التّدخينِ على الأفرادِ المُدخّنينَ كثيرةٌ وجسيمةٌ، فللتّدخينِ تأثيرٌ سلبيٌّ كبيرٌ على الجِهازِ التّنفُّسيِّ، فهو سَبَبٌ في إصابتِهِ بالالتهاباتِ المُزمنةِ والأمراضِ المُستعصيةِ كسرطانِ الحَنجرةِ والرّئةِ، فضلًا عن تأثيرِهِ على القلبِ والدّماغِ، فكثيرًا ما نسمعُ أنّ التّدخينَ كانَ سببًا في إصابةِ أحَدِهِم بالجلطةِ القلبيّةِ، وإصابةِ آخرَ بالجلطةِ الدّماغيّةِ التي تُسلمُ المُدخّنَ إلى الشّلَلِ، أو تودي بهِ إلى الوفاة.

ويتعدّى ضَرَرُ التّدخينِ على الفردِ ذلكَ ليصلَ إلى العَضَلاتِ والأعصابِ؛ فلهو أثرٌ تدميريٌّ على العَضَلاتِ، حيثُ يعملُ على إنقاصِ كميةِ الأوكسجينِ فيها، فتُصابُ بالضّعْفِ والوهَنِ الدّائمَين، مِمّا يجعلُ المُدخّنَ يبدو واهنًا قليلَ النّشاطِ. أمّا تأثيرُ

Scanned by CamScanner

التدخين على الأعصاب فيتمثل في منعه وصول الدم إلى النهايات العصبية، مما يجعلها عرضة للتلف، وكل ذلك يصيب المدخن بالتوتر والرجفان، ويقلل ذكاءه، ويمنحه الخمول والكسل، ويحرمه التذوق والشم.

وينبغي ألا نستغرب عندما نطلع على هذه الآثار السلبية للتدخين؛ فقد أظهرت دراسات أجراها أطباء مختصون أن مادة التبغ تحوي أكثر من أربعة آلاف مادة سامة، منها: القطران، والزرنيخ، والنيكوتين. وحقا صدق زكي قنصل حينما قال:

أنت سم بين الحنايا زعاف ... كيف تستعذب السموم الحنايا

الجرائم عششت في ثنايا ... ك فلا مرحبا بهدي الثنايا

وفضلا عن تلك الأضرار الصحية الجسيمة التي يخلفها التدخين للمدخن، يتسلل إلى جيوبه وينهب ماله، فكم من شاب فقير لا يجني في يومه إلا القليل من المال، لا يجد ضيرا في شراء علبة سجائر بهذا المال القليل. وغالبا ما يكون سبب الاندفاع الشديد إلى تعاطي السجائر رغبة الشباب الجامحة في الظهور بمظهر الرجولة، ظنا منهم أن التدخين يرفعهم إلى مرتبة الكبار، متجاوزا بهم مرحلة الطفولة والصبا. وعلى هؤلاء أن يعلموا أن التدخين لا يظهرهم بمظهر الرجولة، وإنما يشوه مظاهرهم الحسنة، ولا يمنحهم إلا شحوب الوجه، والرائحة الكريهة.

وفيما يخص ضرر التدخين على الأسرة نجد أن المدخن في المنزل قد استحق أن يوصف بصفة الأنانية؛ ذلك أن استمتاعه بالسم الذي يمتصه من لفافته قد أنساه الضرر الذي يسببه لمن حوله من أفراد أسرته، فقد نسي أو تناسى أنه يحقن جوف كل فرد من أفراد أسرته بسم قاتل، حيث يبعث في صدور صغار الأسرة وكبارها ومرضاها رائحة التبغ الكريهة المحملة بمسببات الأمراض.

ويزداد ضرر المدخن على أفراد أسرته فداحة عندما يصبح مثالا يحتذى، وإماما يقتدى، فيقوم بعض أفراد الأسرة بتقليده بتعاطي التدخين، مما يجعله سببا في زيادة عدد المدخنين في الأسرة، فيؤدي ذلك إلى رفع مستوى مصرف الأسرة اليومي، وتكبيلها بأعباء إنفاق إضافية قد لا تكون قادرة على تحملها.

ونجد، حينما ننظر إلى ضرر التدخين الذي يخلفه في المجتمع، أن استشعارنا لأخطاره يتنامى ويكبر؛ فهو الذي يلوث هواء البيئة بالغازات السامة التي تنذر بأخطار بيئية جسيمة، وهو الذي يعكر صفو الناس المتمتعين بجلوسهم في الأماكن العامة، ويرغمهم على تعاطي التدخين السلبي، وهو الذي يغضب ركاب الحافلات العامة، ويزج بهم، غالبا، في عراك اضطراري مع متعاطي التدخين. ناهيك عن تسبب عقب سيجارة في إحراق غابة أو محصول. ومن جهة أخرى يمكن الإشارة إلى أن التدخين سبب في استنزاف أموال الوطن، ولا سيما حينما تكون مادة التبغ مستوردة من خارج أسواره.

وهكذا يظهر لنا أن للتدخين أضرارا كثيرة على مختلف المستويات: الفردية، والأسرية، والمجتمعية، ولأجل ذلك ينبغي لنا أن نحصن أنفسنا ونجنبها أضراره. كما يجدر بنا أن نتوجه إلى وسائل الإعلام والإعلان ونناشدها التركيز على التنبيه إلى أضراره الجسيمة وعواقبه الوخيمة.

المثال التطبيقي الثاني: التزام النظام في البيت والمدرسة ووسائل النقل وغيرها ضرورة تحول دون انقلاب الحياة إلى فوضى وخيمة العواقب.

اكتب مقالة تظهر فيها فائدة الالتزام بالنظام في حياة الفرد والمجتمع، مبرزا من خلال الأمثلة مخاطر التجاوز والفوضى.

الإجابة:

إن مستوى تقدم المجتمعات وتطورها على اختلاف أنظمتها: الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، يقاس بمدى تقيدها بالنظام. فالنظام ركن أساس في بناء حياة أفراد المجتمع على اختلاف جوانبها. لهذا السبب لا بد من التخطيط لإيجاد نظام ينفذ في كل بيت وشارع، وفي كل مكان عام أو خاص.

ومن الثابت أن الأم حين تربي في شخصية ابنها احترام نظام معين في مواعيد الطعام واللعب والدراسة وترتيب الأشياء الخاصة، فإن هذا الابن يشب معتادا على هذا النظام، فينعكس ذلك إيجابا على تعامله مع أفراد مجتمعه.

ومن الراجح أن إدارة المدرسة ومدرسيها حينما يعودون الطلاب على التقيد بنظام يتبعونه داخل أسوار المدرسة، في الصف وخارجه، سيقدمون لطلابهم الفائدة التعليمية داخل صفوفهم، ويؤمنون لهم السلامة من الأذى خارجها، ولا سيما حين الاستراحات التي تتخلل الحصص الدرسية، وعند الانصراف من المدرسة.

Scanned by CamScanner

ومن المعلوم أنّ تقيُّدَ النّاسِ بالنّظام عند ركوبِ الحافلاتِ العامّةِ، وعند ارتيادِ الأفرانِ والمؤسّساتِ الاستهلاكيّةِ، يُقرّبُهم جميعًا من السّلامةِ، ويُبعدُهم عن الأذى، ويُوفّرُ لهم مزيدًا من الوقتِ.

وإذا حينما يحترمُ كُلُّ فردٍ من أفرادِ المُجتمعِ النّظامَ ويتقيّدُ به، فإنّهُ سيهيأُ بحياةٍ سعيدةٍ ويسمو بمُجتمعِه إلى أعلى المراتبِ وأرقاها، فما جلبَ الحياةَ الرّغيدةَ لأبناءِ المُجتمعاتِ الرّاقيةِ المُتقدّمةِ إلّا التزامُهم بالنّظامِ المرسومِ لَهم، ولا جعلَ مُجتمعاتِهم تقفُ في مُقدّمةِ المُجتمعاتِ إلّا التّخطيطُ المنهجيُّ المدروسُ لإيجادِ نظامٍ مُلائمٍ لمستوى الحياةِ الاجتماعيّةِ التي تعيشُها هذه المُجتمعاتُ.

وفي المُقابلِ حينما يحيا الفردُ حياةً تسودُها الفوضى، ويطغى عليها البُعْدُ عَنِ التزامِ النّظامِ، يكونُ سَبَبًا في تقهقرِ مُجتمعِه، وعائقًا أمامَ تقدُّمِه يحولُ بينَهُ وبينَ اللّحاقِ بركبِ المُجتمعاتِ الرّاقيةِ المُتقدّمةِ. فعلى سبيلِ المثالِ، إنّ الطّالبَ الذي لا يتقيّدُ بمواعيدِ دراستِه، وأوقاتِ راحتِه، فيخرجُ للّهوِ مع أصحابِه دونَ الالتفاتِ لِنظامٍ دراسيٍّ مُتّبعٍ، أو مُراعاةِ تخطيطٍ منهجيٍّ مُحدّدٍ، سيجني الفشلَ لا محالةَ. وكذلكَ المُدرّسُ الذي لم يُعدّ خطّةً منهجيّةً واضحةً في إعطاءِ دروسِهِ سيخفقُ، دونَ أدنى شكٍّ، في إيصالِ دروسِهِ إلى طُلّابِه، فيكونُ سَبَبًا في فشلِهم وتأخُّرِهم علميًّا.

وبناءً على كُلِّ ما تقدّمَ نجدُ أنّ كُلَّ فردٍ من أفرادِ المُجتمعِ يُؤثّرُ إيجابًا أو سَلْبًا في بناءِ مُجتمَعِهِ أو هَدْمِهِ، وفي تقدُّمِهِ أو تأخُّرِه بمقدارِ تقيُّدِه بالنّظامِ، فالنّظامُ أداةٌ أساسيّةٌ من أدواتِ تطوُّرِ المُجتمَعاتِ ورُقيّها، فبمِقْدارِ الالتزامِ بتفاصيلِهِ الصّغيرةِ قبلَ الكبيرةِ سينمو المُجتمعُ ويتطوّر.

المِثالُ التّطبيقيُّ الثّالثُ: اكتُبْ موضوعًا تتحدّثُ فيهِ عَنِ الدّوافعِ التي دَفَعَتِ المُغتربَ إلى الهِجْرَةِ، وآثارِ الغُرْبَةِ في نَفْسِهِ.

الإجابة:

عندَما شَرَعَ الإنسانُ العربيُّ برِحلةِ الهِجْرَةِ مِنْ شَاطِئِ الوَطَنِ إلى شَواطِئِ الغُرْبَةِ كانَ يُمَنّي النّفْسَ التّوّاقةَ بِبُلوغِ آمالٍ وتَحْقيقِ أَحلامٍ، لم يتمكّنْ مِنْ بُلوغِها أو تحقيقِها في وَطَنِهِ، الذي احتضَنَ مَلاعِبَ طُفولَتِهِ البَهيجَةَ، وذكرياتِهِ السّعيدَةَ. فالعاملُ الاقْتِصاديُّ يُعَدُّ السّببَ المُباشرَ الفعّالَ الذي دَفَعَ المُهاجرَ إلى مُغادَرَةِ وَطَنِهِ الحَبيبِ. فقَدْ عاشَ تَحْتَ حُكْمٍ عُثْمانيٍّ استبَدَّ بِخَيْراتِ الوَطَنِ العَرَبيِّ، فاستباحَ مُمْتلكاتِه، واستحلَّ أَرْزاقَ أَبنائِهِ حارِمًا إيّاهُمْ مِنْ خَيْراتِهِ، فعاشُوا حياةَ الفاقةِ والعَوَزِ.

وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ كانَ لِجَوْرِ المُحْتَلّينَ وبَطْشِهِمْ بِرَعاياهُم مِنَ العَرَبِ دَوْرٌ بارِزٌ في هِجْرَةِ العَرَبِيِّ الذي لَمْ يَهُنْ عليهِ أَنْ يَحيا حَياةً ذَليلَةً بائِسَةً.

ولم يَكُنْ يَدُورُ في ذِهْنِ المُهاجِرِ حينَمَا رَكِبَ قَارِبَ الهِجْرَةِ، أَنَّ الحُصُولَ على لُقْمَةِ العَيْشِ في بِلادِ الغُرْبَةِ صَعْبُ المَنالِ يَتَطلَّبُ جُهْدًا جبّارًا، ودَمْعًا مِدرارًا، وعَرَقًا سيّالًا. كانَ يظُنُّ أنّهُ سيكنِسُ الذّهَبَ والفِضّةَ مِنْ شَوَارِعِ المَهْجَرِ، ويملأُ بها جيوبَهُ الفارغةَ. لكنّهُ أدركَ بعدَ فَوَاتِ الأوانِ أَنَّ قَطْرَةَ الماءِ تُعْتَصَرُ مِنَ الوَحْلِ، وأَنَّ اللُّقْمَةَ كامِنَةٌ في قَلْبِ الصَّخْرِ. فعَاشَ حياةً شاقّةً ضَنْكَةً تَحْتَ وَطْأَةِ الحِرمانِ، وثِقَلِ البُؤْسِ والشّقاءِ، وفجيعةِ الإعياءِ والإرهاقِ.

وأَمامَ هذا الواقعِ المُعَقَّدِ الصَّعْبِ، والحياةِ القاسِيَةِ، يَلْسَعُهُ الشّوقُ إِلَى الشّاطِئِ الذي أَبْحَرَ منهُ، وينْهَشُهُ الحَنينُ إلى الأَهْلِ والأَصْدِقاءِ والأَحِبّةِ، الذينَ عاشَ مَعَهُم أَجْمَلَ الذّكرَيَاتِ.

فَحينَمَا يَجِدُ نَفْسَهُ مُنْدَفِعًا بِرِفْقَةِ سَيْلٍ مِنَ المخلوقاتِ البشريّةِ في زَحْمَةِ الحَياةِ التي لا تَمْنَحُ المُهاجِرَ بُرْهَةً يَقِفُ فِيها أَمَامَ وجهٍ يَعْرِفُهُ، فيَلتَفِتُ إلى حَيَاتِهِ في وَطَنِهِ حيثُ الجارُ يُحَدِّثُ جارَهُ، فيَندَفِعُ الحَنينُ في صَدْرِهِ إلى الأَوديَةِ والغُدْرانِ والمَرَاعِي، فتتعذّبُ النَّفْسُ ويتمزّقُ القَلْبُ، فينْزِعُ إلى اللّقاءِ بعْدَ طُولِ الفِرَاقِ، ويَتُوقُ إلى الوِصَالِ بعدَ طُولِ البِعَادِ.

ويَظَلُّ المُهاجِرُ مُتَّقِدَ الأَشواقِ، مُلْتَهِبَ الحَنينِ، مُنتَظِرًا أَنْ تلوحَ أَمَامَهُ فرصةُ العَوْدَةِ إلى أَرْضِهِ الحَبيبةِ، وأَنْ تَبْرُقَ أَمَامَ عَيْنيهِ بارِقةُ الإيابِ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ مُعَانَاتِهِ المُرَّةِ في بِلادِ الغُرْبَةِ. إنّهُ يُمَنّي نَفْسَهُ بِقُدُومِ اليومِ الذي يُعانِقُ فيهِ شَاطِئَ الوَطَنِ الحَبيبِ، فيَبُوحُ لَهُ بِعذاباتِ الغُرْبَةِ التي حَفَرَتْ في وَجْهِهِ الأَخَادِيدَ، ويَكْشِفُ لَهُ عَنْ وَطْأَةِ العَيْشِ وشِدّةِ المُعَانَاةِ، اللّذَينِ قَاسَاهُمَا مُنْذُ مُغَادَرَةِ أَرْضِهِ الطّيّبَةِ. تَرَاهُ يرسمُ لِنَفْسِهِ الأَحْلَامَ التي تُصَوِّرُ لهُ لَحْظَةَ اللّقاءِ المُنْتَظَرِ مَعَ الحَبيبةِ المُنْتَظِرَةِ على شاطِئِ الوَطَنِ. تِلكَ الحَبيبَةُ التي خَلّفَ فِراقُها في نَفْسِهِ غصّةً ووَحْشَةً ومَرارةً ولَوْعَةً.

Scanned by CamScanner

حقًا إنَّ النَّفس الشَّاعرة لتَرِقُّ وتتعاطفُ مع هذا المُهاجرِ الذي رَمتْ به أعاصيرُ الحَياةِ بعيدًا عنْ مَوْطنِ سعادتِه، وكنفِ كرامتِه، لتلقفهُ أنيابُ الغُربةِ الفتاكةُ، فيحيا حياةً مُرَّةً يُعذِّبُه الشَّوقُ إلى الأهلِ، والحَنينُ إلى الوَطنِ.

المِثالُ التَّطبيقيُّ الرَّابعُ: اكتبْ مقالًا تُبيِّنُ فيهِ تأثيرَ الجَهلِ في تَخلُّفِ المُجتمعِ وانْحدارِه فكريًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، ثُمَّ أبرِزْ دورَ العِلمِ في نَهضةِ المُجتمعِ وتقدُّمِه.

الإجابة:

العِلْمُ يُنيرُ عقلَ الإنسانِ فيُملِّكُ صاحبَهُ ثقافةً في الحياةِ، واطِّلاعًا في شُؤونِها، وكُلَّما ازدادَ الإنسانُ علمًا ازدادَتْ ثقافتُهُ الحياتيَّةُ عُمقًا، وصارَ أكثرَ درايةً بتفاصيلِها، فَبَدَتْ لَهُ فضاءاتُ الحياةِ أكثرَ اتِّساعًا ورَحابةً، بخلافِ الجاهلِ الذي تَضيقُ في بَصيرتِهِ الآفاقُ، وتقصرُ مَعْرفتُهُ عَنْ إدراكِ أسرارِ الحياةِ وخَفاياها.

وممَّا يُشيرُ إلى خُطورةِ مَرَضِ الجَهلِ أنَّهُ مِنْ أهمِّ الأسبابِ لِحُصولِ الانْحرافِ عَنْ جادَّةِ الصَّوابِ؛ فَلَطالما قادَ الجَهْلُ صاحبَهُ لارْتكابِ المَحاذيرِ وصُنْعِ المَحْظوراتِ، فَجَرائمُ القَتْلِ وقَضايا المُخدِّراتِ والفَواحشِ تَشْهَدُ بذلكَ، حيثُ يُؤَدِّي الجَهْلُ إلى انتشارِ حَوادثِ القَتْلِ والسَّرقةِ والاضْطِهادِ النَّفسيِّ والجَسَديِّ والعَقْليِّ. ومِنْ هذا القَبيلِ إسهامُ الجَهْلِ والأُمِّيَّةِ في انسياقِ الجاهلِ وراءَ الأباطيلِ السَّاذجةِ، فَتُصْبِحُ الخُرافاتُ والأساطيرُ أكثرَ قابليَّةً لِلتَّصديقِ مِنَ الحقائقِ العِلْميَّةِ، فيُقْبِلُ الجاهلُ على مُعالَجةِ الأمْراضِ عَنْ طريقِ السَّحَرةِ والمُشَعْوِذينَ لا عَنْ طريقِ اللُّجوءِ إلى الطَّبيبِ.

ولَعلَّ من بَيْنِ الأخْطارِ الكبيرةِ التي تُواجِهُ الأُمَمَ الافْتِقارَ إلى الوَعْيِ والثَّقافةِ بينَ أبْنائِها، فانْتِشارُ الأُمِّيَّةِ يُفْقِدُ المُجْتَمَعَ القُدْرَةَ على الاستِفادةِ مِنَ الأخطاءِ المُرْتكَبَةِ، والانْتِفاعِ مِنْ كُنوزِ الكُتُبِ، والاقْتِباسِ مِنْ تَجارِبِ الأُمَمِ الأُخْرى.

إنَّ الجَهْلَ يُعَرْقِلُ نَهْضَةَ المُجْتَمَعِ ويُعيقُ دَورانَ عَجَلَةِ الاقتِصادِ فيهِ، حيثُ يخلُقُ بِيْئَةً غيرَ صالِحَةٍ لِلإنتاجِ والعَمَلِ، ممَّا يُؤَدِّي إلى تَعَثُّرِ سَيْرِ التَّنميةِ وتَهْديدِ استقرارِ المُجْتَمَعِ. فالجَهْلُ يُعيقُ تَقَدُّمَ الصِّناعاتِ الكثيرةِ التي تُسَهِّلُ حياةَ النَّاسِ، ويُعَرْقِلُ تَطْويرَها، فَيَحْرِمُ المُجْتَمَعَ مِنَ التَّسَلُّحِ بالقُوَّةِ الاقتِصاديَّةِ، ويَمْنَعُهُ مِنَ التَّحَكُّمِ بِعناصِرِ الطَّبيعَةِ واستِغلالِها لِصالِحِ الإنْسانِ. فهُناكَ الكثيرُ مِنَ الثَّرواتِ التي لا تُسْتَغَلُّ بالشَّكْلِ الأَمْثَلِ بِسَبَبِ الجَهْلِ، فلو عُرِضَتْ هَذِهِ العناصِرُ الطَّبيعيَّةُ على أَهْلِ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ لَتَمَكَّنُوا مِنِ استِغلالِها بالشَّكْلِ الصَّحيحِ لِتُسْتَثْمَرَ لِصالِحِ ازْدِهارِ المُجْتَمَعِ.

ومِنْ جِهَةٍ أُخْرى فَإنَّ الجَهْلَ يَحُولُ دُوْنَ تَغييرِ الثَّقافاتِ والعاداتِ المُتَخَلِّفةِ؛ فَإنَّ المُجْتَمعاتِ التي ما زالَتْ جاهلةً بَقِيَتْ على عاداتِها القَديمةِ المُتَخَلِّفةِ. ومِنْ دُونِ القَضاءِ على الجَهْلِ بِنَشْرِ العِلْمِ بَيْنَ المُجْتَمَعاتِ لا يُمْكِنُ القضاءُ على هَذِهِ العاداتِ السَّيِّئَةِ واستِبْدالُ عاداتٍ أُخْرى بها، تكونُ مُنْسَجِمَةً مَعَ المَنْطِقِ والعَقْلِ؛ تُحَسِّنُ أَخْلاقَ المُجْتَمَعِ، وتُخَلِّصُهُ مِنْ عوامِلِ التَّفرقَةِ والاضطِهادِ والتَّنافُرِ والتَّباغُضِ.

العِلْمُ نِبْراسٌ في الحياةِ، إنَّهُ نُورُها الذي تَسْتَضِيءُ بِهِ البَشريَّةُ وتَهْتَدي بِهِ إلى طريقِها، فَبِهِ تَتَبَدَّدُ ظُلُماتُ الجَهْلِ والتَّخَلُّفِ، وتَتَقَدَّمُ بِهِ الأُمَمُ في سائرِ شُؤونِ حياتِها. إنَّهُ العَمُودُ الذي يرتكِزُ عليهِ بِناءُ الحَضاراتِ، ويَسْتَنِدُ عليهِ تَقَدُّمُها على مَرِّ الدُّهُورِ، فالأُمَمُ التي تَسعَى إلى زِيادَةِ رُقيِّها بَيْنَ المُجتمعاتِ تَقْضي على التَّخَلُّفِ والجَهْلِ قَضاءً مُبْرَمًا.

إنَّ العِلْمَ مِنْ مُقَوِّماتِ الحياةِ في المُجْتَمَعِ، فلا يُمْكِنُ أَنْ تُبْنَى حَضارةٌ مُتَطَوِّرةٌ دُوْنَ أَنْ يكونَ العِلْمُ أَحَدَ أَرْكانِها؛ لأَنَّهُ العَمُودُ الأَساسيُّ الذي تُبْنَى عليهِ الحضاراتُ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ إنتاجِ وسائِلَ يَستَطيعُ الإنْسانُ مُواكَبَةَ العَصْرِ المُزْدَهِرِ بِوساطتِها، تُسَهِّلُ لَهُ الحياةَ وتَجْعَلُها أكثرَ مُرونةً.

وللعِلْمِ دَوْرٌ فَعَّالٌ في الحَدِّ مِنِ انتشارِ الأَمْراضِ والأَوْبِئَةِ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ إسهامِهِ في تَطْويرِ العَديدِ مِنَ الأَدْويةِ، والأَجْهِزَةِ التِّقنيَّةِ الحَديثةِ التي تَكْشِفُ الأَمْراضَ بِشَكْلٍ مُبَكِّرٍ، فهو يُوَفِّرُ حياةً صِحِّيَّةً سليمةً لِلفَرْدِ والمُجْتَمَعِ. وَلَهُ دَوْرٌ بارزٌ في تخليصِ المُجْتَمَعِ مِنَ الاعتِقاداتِ الباطِلَةِ وَدَفْعِهِ إلى التَّخَلِّي عَنِ الخُرافاتِ التي لا أَساسَ لها؛ فالمُتَعَلِّمُ أَكثرُ وَعْيًا وإدراكًا لِمَدى صِحَّةِ الخُرافاتِ السَّائِدَةِ، وأَكْثَرُ قُدْرةً على تَمْييزِها، ومَعْرِفةِ بُطلانِها.

كما أَنَّ العِلْمَ يُمَكِّنُ مِنِ استِخْدامِ التِّقنيَّاتِ الحديثةِ لِزيادَةِ إنتاجِ المُجْتَمَعِ الصِّناعيِّ، فالمُتَعَلِّمُ أَكثرُ مهارةً في التَّعامُلِ مَعَ التِّقنيَّاتِ الحديثةِ المُخْتَلِفةِ، وأَقْدَرُ على زيادَةِ الإنْتاجِ في قطاعاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وأَقْدَرُ على ابْتِكارِ هَذِهِ التِّقنيَّاتِ وتطويرِها، لِلإسهامِ في زيادَةِ المَرْدودِ المادِّيِّ؛ لإنْعاشِ خَزائنِ المُجْتَمَعِ.

Scanned by CamScanner

وَلَطالَما أَسْهَمَ العِلْمُ بِشَكْلٍ كبيرٍ في تَجْميلِ المُجْتَمَعِ مِنْ خِلالِ إِحْداثِ الازْدِهارِ العُمْرانيِّ، الذي يَنْعَكِسُ في تَشييدِ البُيوتِ و بِناءِ الجُسُورِ. فالعِلْمُ هو الذي صَقَلَ مهارَةَ المُهَنْدِسينَ والأَكادِيمِيِّينَ الذينَ أَسْهَمُوا في بِناءِ المُدُنِ والحضاراتِ.

حَقًّا إِنَّ الجَهْلَ داءٌ إِذا ما استَشْرَى وباؤُهُ في مُجْتَمَعٍ مِنَ المُجْتَمَعاتِ، وتَفَشَّى في مَرَافِقِهِ ومَفَاصِلِهِ كافَّةً، أَنْهكَهُ وأَسْرَعَ بانْحِدارِهِ وتَرَدِّيهِ، فلا يكونُ لِهذا الدَّاءِ العُضَالِ دَواءٌ شافٍ أَنْجَعُ مِنْ ترياقِ العِلْمِ، وبَلْسَمُ المَعْرِفَةِ.

Scanned by CamScanner